كان مقتضى الظاهر من التنظير أن يقدم قوله (وأنه هو أغنى وأقنى) على قوله (وأن عليه النشأة الأخرى) لما في قوله (وأنه هو أغنى وأقنى) من الامتنان وإظهار الاقتدار المناسبين لقوله (وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين) الخ . إذ ينتقل من نعمة الخلق إلى نعمة الرزق كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم (الذي خلقني فهو يهدين وهو والذي يطعمني ويسقين وقوله تعالى (ا الذي خلقكم ثم رزقكم) ولكن عدل عن ذلك على طريقة تشبه الاعتراض ليقرن بين البيانين ذكر قدرته على النشأتين .

ومما يشابه هذا ما قاله الواحدي في شرح قول المتنبي في سيف الدولة : .

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم .

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاء وثغرك باسم أنه لما أنشد هذين البيتين أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزي البيتين على صدريهما وقال : ينبغي أن تطبق عجز الأول على الثاني وعجز الثاني على الأول ثم قال له : وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله : .

كأني لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال .

ولم اسبإ الزق الروي ولم أقل ... لخيلي كري كرة بعد إجفال E A ووجه الكلام في البيتين على ما قاله أهل العلم بالشعر أن يكون عجز الأول على الثاني والثاني على الأول " أي مع نقله كلمة " للذة " من صدر الأول إلى الثاني, وكلمة " ولم أقل " من صدر الثاني إلى الأول ليستقيم الكلام " فيكون ركوب الخيل مع المر للخيل بالكر وسبأ الخمر مع تبطن الكاعب فقال أبو الطيب " أطال ا عز مولانا إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا, ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفصيله, وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر الأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء, وإنما لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه, ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاء, لأجمع بين الضدين في المعنى " اه .

ولو أن أبا الطيب شعر بهذه الآية لذكرها لسيف الدولة فكانت له أقوى حجة من تأويله شعر امرئ القيس .

وجملة (وأن عليه النشأة) تحقيق لفعله إياها شبها بالحق الواجب على المحقوق به بحيث لا يتخلف فكأنه حق واجب لأن ا وعد بحصول بما اقتضته الحكمة الإلهية لظهور أن ا لا يكرهه

شيء, فالمعنى : أن ا أراد النشأة الأخرى كقوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة) .

والنشأة : المرة من الإنشاء, أي الإيجاد والخلق .

والأخرى : مؤنث الأخير, أي النشأة التي لا نشأة بعدها, وهي مقابل النشأة الأولى التي يتضمنها قوله تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . وهذه المقابلة هي مناسبة ذكر هذه النشأة الأخرى .

وقرأ الجمهور (النشأة) بوزن الفعلة وهو اسم مصدر أنشأ, وليس مصدرا, إذ ليس نشأ المجرد بمعتد وإنما يقال : أنشأ .

وقرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (النشاءة) بألف بعد الشين المفتوحة بوزن الفعالة وهو من أوزان المصادر لكنه مقيس في مصدر الفعل المضموم العين في الماضي نحو الجزالة والفصاحة . ولذلك فالنشاءة بالمد مصدر سماعي مثل الكآبة . ولعل مدتها من قبيل الإشباع مثل قول عنترة : .

" ينباع من ذفرى غضوب جسرة أي نبع .

وتقديم الخبر على اسم (أن) للاهتمام بالتحقيق الذي أفادته (على) تنبيها على زيادة تحقيقه بعد أن حقق بما في (أن) من التوكيد .

(وأنه هو أغنى وأقنى [48]) ومعنى (أغنى) جعل غنيا, أي أعطى ما به الغنى, والغنى التمكن من الانتفاع بما يحب الانتفاع به .

ويظهر أن معنى (أقنى) ضد معنى (أغنى) رعيا لنظائره التي زاوجت بين الضدين من قوله (أضحك وأبكى) و (أمات وأحيا) , و (الذكر والأنثى) , ولذلك فسره ابن زيد والأخفش وسليمان التميمي بمعنى أرضى